



كلمة التوحيد هي كلمة الإخلاص وشهادة الحق ودعوة الرسل، وبراءة من الشرك، ونجاة العبد، ورأس هذا الأمر، والأجلها خلق الخلق، كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} [سورة الذاريات: 56]، ولأجلها أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ} [سورة الأنبياء: 25]

من أجلها أفرق الناس إلى فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير، ومن أجلها حلت الحافة، ووقيعة الواقعة، ومن أجلها سُلْت سيفون الجهاد، وفارق ابن أباه، والزوج زوجته، فلا يدخل الإنسان في الإسلام إلا بعد أن يشهد هذه الشهادة شهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فإن أبي فلا يكون من أهل الإسلام والتوحيد، بل هو من أهل الكفر والشرك، ولذا هي الركن الأول من أركان الإسلام وهي مفتاح الجنة، وفي الصحيحين عن ابن المسمى عن أبيه قال: "لما حضرت أبي طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنه عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل فقال له: ((يا عَمْ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلْمَةُ أَحَاجِكَ بِهَا عَنْدَ اللَّهِ))، فقلَّا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فأعادا فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبي أن يقول: لا إله إلا الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَمْ أَنْهَ عَنْكَ))، فأنزل الله عزوجل: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالذِّينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَئِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} [سورة التوبه:113]، وأنزل في أبي طالب: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [سورة القصص:56]. وهذا يدل على عظم هذه الكلمة فأبى طالب مات على ملة الشرك ملة أبيه عبد المطلب بسبب عدم نطقه بهذه الكلمة العظيمة .

معنى هذه الكلمة: أي لا معبود بحق إلا الله فهي جامعه للنفي والإثبات فـ(لا إله) نفي لجميع ما يعبد من دون الله، كالآصنام والأوثان التي عُبَدَتْ من دون الله وـ(إلا الله)، إثبات العبادة لله وحده لا شريك له في العبادة دون غيره من المعبودات التي عُبَدَتْ بالباطل، كالأنساع، والألاء للناء والملائكة والجن، والأشحاص، والأحاج، [1].

وأما (محمد رسول الله) فمعناها: "طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع"^[2]، وهذا التعريف لمعنى شهادة محمد رسول الله شامل لها؛ لأن العبادة لابد أن تكون موافقة لما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعبد الله بالبدع والخرافات وما يستحسن الناس من عند أنفسهم .

- وأما خصائص كلمة التوحيد: فمنها أنها لا تشتمل على حرف منقوط، قال ابن عبد الهادي الحنبلي: " ومن خواصها أن حروفها كلها مهملة ليس فيها حروف معجمة تنبيها على التجرد من كل معبد سوى الله تعالى" [3]، وقال محمد بن أبي الفتح البعلبي: " ومن خواصها أن جميع حروفها جوفية ليس فيها شيء من الشفوية إشارة إلى أنها تخرج من القلب" [4].

وأما شروطها فثمانية، وقد نظمها بعضهم في قوله:

علم يقين وإخلاص وصدق مع *** محبة وانقياد والقبول لها
وزيد ثامنها الكفران منك بما *** سوى الإله من الأشياء قد ألهها

الأول: العلم بمعناها المنافي للجهل، وقد ذكرنا أنفًا معناها أي لا معبد بحق إلا الله.

الثاني: اليقين المنافي للشك، فلابد في حق قائلها أن يكون على يقين بأن الله سبحانه هو المعبد بحق.

الثالث: الإخلاص وذلك بأن يخلص العبد لربه سبحانه في جميع العبادات فلا يصرف شيء من العبادات لغيره كالأصنام، أو الملائكة، أو الأنبياء، أو الأولياء، أو الجن أو غير ذلك.

الرابع: الصدق، ومعناه أن يقولها وهو صادق بحيث يطابق قلبه لسانه ولسانه قلبه، فإن قالها باللسان فقط بدون إيمان القلب فهو من جملة المنافقين الذين يظهرون بالإسلام ويبطئون الكفر.

الخامس: المحبة ومعناها أن يحب الله عزوجل، فإن قالها بدون محبة الله فهو أيضاً منافق قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَادِاً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الْأَنْجَانِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًا لِّلَّهِ} [سورة البقرة: 165].

السادس: الانقياد لما دلت عليه من معنى، بحيث يعبد الله وحده وينقاد لشريعته، ولا يكون مستكراً عن العبادة كما استکبر إبليس عن طاعة الله.

السابع: القبول لما دلت عليه من إخلاص العبادة لله، وترك عبادة ما سواه راضياً بذلك.

الثامن: الكفر بما يعبد من دون الله، أي يتبرأ من عبادة غير الله، ويعتقد أنها عبدت بالباطل كما قال تعالى: {فَمَنْ يَكُفِرُ بِالظَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوهَةِ الْوُثْنَى لَا أَنْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِ} [سورة البقرة: 256].

وأما الفوائد التي تحصل لذاكرها ومددتها فكثيرة جداً، نقل ابن حجي الحنبلي في رسالته له سماها " الكلام المُنْقَى" مما يتعلق بكلمة التقوى عن صاحب كتاب "فاكهة القلوب والأفواه" أنه قال: " فمنها الزهد ومعنى به خلو الباطن من الميل إلى فإن، ومنها التوكل وهو ثقة القلب بالوكيل الحق سبحانه وتعالى. ومنها الحباء بتعظيم الله عز وجل بدوام ذكره والتزام امتثال أمره ونهيه .

ومنها الشكر وهو إفراد القلب بالثناء على الله تعالى ورؤيه النعم في طي النعم، ثم قال ابن حجي مستدركاً عليه : "قلت: ومنها أنها تعصم الدم والمال لمن قالها إلا بحقها" [6] .

وأما فضائلها: فقد عقد الحافظ زين الدين ابن رجب فصلاً يبلغ (13) صفحة في كتابه "التوحيد أو تحقيق كلمة الإخلاص" وسوف أذكر بعضها باختصار:

1/ هي نجاة من النار .

2/ توجب المغفرة .

- 3/ أحسن الحسنات .
- 4/ تمحو الذنوب والخطايا .
- 5/ تجدد ما درس من الإيمان في القلب .
- 6/ لا يعدلها شيء في الوزن .
- 7/ تخرق الحجب كلها حتى تصل إلى الله عزوجل إذا قالها القائل .
- 8/ ينظر الله إلى قائلها ويجيب دعاه إذا كان قالها مخلصاً .
- 9/ أفضل ما قاله النبيون .
- 10/ أفضل الذكر .
- 11/ أفضل الأعمال وأكثرها تضعيقاً في الأجر وتعدل عتق رقبة وتكون حرزاً من الشيطان .
- 12/ أنها أمان من وحشة القبر وهول الحضر .
- 13/ شعار المؤمنين إذا قاموا من القبور .
- 14/ أن قائلها لا يخلد في النار[7].
- وأما نواقضها فكثيرة جداً حتى قيل:** إنها تبلغ (400) ناقض[8] لكن أهمها وأخطرها عشرة نواقض وهي :
- 1/ الشرك بالله كالذبح للجن وللأولياء مثل ما كان يفعل في الجاهلية للأصنام .
 - 2/ من جعل بينه وبين الله وسائل يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم .
 - 3/ من لم يُكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صلح مذهبهم .
 - 4/ من اعتقد أن هدي غير الرسول صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكم الشرع .
 - 5/ من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولو عمل به كمن يبغض القرآن أو السنة.
 - 6/ من استهزأ بشيء من دين الرسول صلى الله عليه وسلم أو ثوابه كنعيم الجنة أو عقابه ك الآخرة وما فيها من أنواع العذاب.
 - 7/ السحر والصرف والعطف.
 - 8/ مناصرة المشركين والكافر على المسلمين.
 - 9/ من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة الرسول كما فعل الخضر مع موسى.
 - 10/ الإعراض عن تعلم دين الله فلا يتعلم ولا يعمل به[9].

-
- 1/ راجع حاشية الأصول ثلاثة لعبد الرحمن بن قاسم، دار الزاحم، الرياض .
- 2/ نفس المصدر السابق .
- 3/ الدرر النقي في شرح ألفاظ الخرقى، ج 2 ص 212 يوسف بن حسن بن عبد الهادى، دار المجتمع، جدة .
- 4/ المطلع على أبواب المقنع، ص 81 لمحمد بن أبي الفتح البعلبى، المكتب الإسلامي، بيروت .
- 5/ راجع فتح المجيد شرح كتاب التوحيد "باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله" للشيخ عبد الرحمن بن حسن، ومجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز جمع الدكتور عبد الله الطيبار، ج 1 ص 229 طبعة دار الوطن .
- 6/ نقلته بتصرف يسير من مجموع الرسائل والمسائل النجدية، ج 5 ص 858 جمع الشيخ محمد رشيد رضا، وأعاد طباعتها مع الفهارس الدكتور عبد السلام آل عبد الكريم - رحمهما الله -.
- 7/ كل هذه الفضائل ذكر لها الحافظ ابن رجب أدلة من القرآن والسنة الصحيحة، لكنني اكتفيت بذكرها باختصار، ومن أرد الزيادة فليراجع أصل الكتاب .
- 8/ راجع في ذلك كتاب الإعلام بقواعد الإسلام لأبن حجر الهيثمي الشافعى، وكتاب ألفاظ الكفر لبدر الرشيد الحنفى، ورسالة في ألفاظ الكفر لقاسم الخانى، ورسالة في ألفاظ الكفر

لتج الدين أبي المعالي الحنفي، وقد جمع هذه الكتب، الدكتور محمد الخميس في كتاب واحد سماه "الجامع في ألفاظ الكفر"، وهو مطبوع في دار إيلاف الدولية بالكويت .
9/ دروس في شرح نوافعن الإسلام، للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، دار أطلس الخضراء، الرياض .

المصادر: